تفسير إبن كثير

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ

يقول تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا - صلى االله عليه وسلم - : (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) يعني أمته .أي : اذكر ذلك اليوم وهوله وما منحك االله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع . وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبد االله بن مسعود حين قرأ على رسول االله - صلى االله عليه وسلم - صدر سورة " النساء " فلما وصل إلى قوله تعالى : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) [النساء : 41] . فقال له رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " حسبك " . قال ابن مسعود - رضي االله عنه - : فالتفت فإذا عيناه تذرفان .وقوله : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) قال ابن مسعود : [و] قد بين لنا في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء .وقال مجاهد : كل حلال وحرام .وقول ابن مسعود أعم وأشمل ; فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق ، وعلم ما سيأتي ، وحكم

كل حلال وحرام ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ، ومعاشهم ومعادهم .(وهدى) أي : للقلوب ، (ورحمة وبشرى للمسلمين)وقال الأوزاعي : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) أي : بالسنة .ووجه اقتران قوله : (ونزلنا عليك الكتاب) مع قوله : (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) أن المراد - والله أعلم - : إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب - الذي أنزله عليك - سائلك عن ذلك يوم القيامة ، (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) [الأعراف : 6] (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) [الحجر : 92 ، 93] (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) [المائدة : 109] وقال تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) [القصص : 85] أي : إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه ، ومعيدك يوم القيامة ، وسائلك عن أداء ما فرض عليك . هذا أحد الأقوال ، وهو متجه حسن .